

ذرائعية تشارلز ساندرس بيرس التأويلية-بحث في العلامة وأنماط إنتاج المعنى سيميائيا-

Charles Sanders Pearce's Interpretive Pragmatism -A research on the patterns of the semiotic sign production-

سامي الوافي¹

¹ جامعة أم البواقي (الجزائر)، louafi_2010@yahoo.com

تاريخ الاستلام: 2019/08/12 تاريخ القبول: 2019/12/18 تاريخ النشر: 2019/12/25

ملخص:

سيميائ ش س بورس التأويلية، بحث تناولت فيه بالتنظير آليات الفيلسوف الأمريكي ش. س. بورس، لارتباط طرحه السيميائي هذا بجميع مظاهر الكون، ولتجسدها كأداة تُقرأ بها كل مظاهر السلوك الإنساني من انفعالات وطقوس اجتماعية، وصولا عند الأنساق الإيديولوجية الكبرى. كلمات مفتاحية: السيميائ؛ التأويل؛ التداولية؛ بيرس؛ العلامة .

Abstract

S.C.Peirce Interpretive Semiotics; the article in which I dealt endoscopically with the mechanisms of the American philosopher C.S. Peirce because of the existed correlation between his semiotic thought and all the universal aspects that are embodied as a tool via which we can read all the aspects of human behavior from the emotions and the social rituals to the major ideological patterns.

Keywords: Semiotics; Interpretatio; Pragmatism; Peirce; sign.

المؤلف المرسل: الوافي سامي ، الإيميل: louafi_2010@yahoo.com.

1. مقدمة:

ارتبط اهتمام السيميائيين بجميع مظاهر الكون، فهي أداة لقراءة كل مظاهر السلوك الإنساني، بدءاً من الانفعالات البسيطة، ومروراً بالطقوس الاجتماعية وانتهاءً بالأنساق الإيديولوجية الكبرى (بنكراد، 2002، الصفحات 16-17)؛ إذ تنحصر غايتها في تأويل الأنظمة العلامية اللغوية وغير اللغوية فهي؛ أي العلامات حاوية لكل الموجودات، والواقع لا يتجسد لنا إلا في حدود مثوله أماناً كعلامة، تتم فيه عملية التوليد انطلاقاً من وجود عالم واقعي، نستطيع انطلاقاً منه تحديد سلسلة من العوالم الممكنة الوجود انطلاقاً من العالم الأول (بنكراد، النص السرد، نحو سمائيات للإيديولوجيا، 1996، الصفحات 29-30)، بهذا استطاعت كعلم بفضل انفتاحها على المستحدثات المنهجية والمعرفية، أن تتحرّز من القيود البنيوية وإيديولوجيتها لمقاربة الدلالة في علاقتها بمقاصد المتلفظ ومساغيه التواصلية والتداولية (الداهي، 2009، الصفحات 8-10-9)، لتصبح العلامات معه موظفةً باتجاه نقل صورة العالم، وهذا ما جعل منه مُنظراً ثقافياً، خاصة عندما لم يجعل منهجه محصوراً في سلسلة آليات إجرائية تُستحضر لقراءة واقعة نصية ما وكفى، ففي قوله مثلاً أن علم العلامات يتكون من ثلاثة أنواع: الأيقونات / التماثيل، التي تتصل بعملية التماثل، والأدلة التي تتصل بالتواصل المنطقي، والنوع الثالث هو العلامات، التي هي عبارة عن رموز عرفية*، جعل بورس نقطة انطلاق مشروعه السيميائي مرتبطاً بالتجربة الإنسانية في كليتها، بسبب أنّ الإنسان هو مهد العلامات، والواقع لا يُنظر إليه إلا بوصفه نسيجاً من العلامات.

ليتأسس مشروعه السيميائي كعلمٍ ذرائعي يرى أنّ العلامة تصور متكامل للعالم.

2- ذرائعية مشروع ش ساندرس بورس Charles Senders Peirce السيميائي:

بإعطائه أولوية وأهمية كبيرة للفلسفة والمنطق والرياضيات والميتافيزيقا، أقام ش. س. بورس نظاماً خاصاً للعلم، إذ قال مُعلناً عن توجهه الفكري والنقدي «لم يكن بوسعي أبداً أن أدرس أي شيء كالرياضيات والأخلاق والميتافيزيقيا... إلا بوصفه دراسة سيميوطيقية» (Peirce, 1970, p. 32)، ويلاحظ على طرحه هذا أنه وضع الرياضيات على رأس صُنافته العلمية، فهو يرى وبكل بساطة في الرياضيات مصدر كل العلوم كيف لا وهي «العلم الوحيد الذي لا يهتم بالبحث عما هي الأحداث الواقعية، ولكن الذي يدرس

ذرائعُ تشارلز ساندرس بيرس التأويلية-بحثٌ في العلامة وأنماط إنتاج المعنى سيميائيا-

حصر الفرضيات» (الحدادي، 2006، صفحة 53)، على اعتبار أن وظيفة الدلالات المنطقية هي النقطة التي تسعى السيميوطيقا إلى رصدها.

ميزة طرحه ليست الجمود بل على العكس تماما، كونها متصلة بحركية الفعل الإنساني، وبهذا فهي «تدرج أنواع العلامات في خاناتٍ قارةٍ بشكلٍ نهائي» (بنكراد، السيميائيات والتأويل: مدخل لسيميائيات ش. س. بورس، 2005، صفحة 28)، ويعتبرُ المنطق في علاقته بما يسمى آلية الصناعة السيميائية كسند فلسفي ذلك «المذهب شبه الضروري أو الصوري للدلائل» (الحدادي، سيميائيات التأويل: الإنتاج ومنطق الدلائل، صفحة 14)؛ بمعنى أن ملاحظات الإنسان على مجموع الدلائل، بالاعتماد على سيرونة تجريدية ستوصله بالضرورة إلى خلق قضايا وأقوال تحتمل الصدق والكذب، الصحة والخطأ، فيما يشبه العلاقات والترابطات النظرية والتطبيقية في العلوم، فالمنطق مُنتج طبيعي للتفكير الجدلي الممجد للعقل، لذا فالصناعة السيميائية تحديدا ليست سوى مذهب الطبيعة الأساسية والتنوعات والتغيرات الرئيسية للتدالات **Sémiosis** الممكنة*، والعلم الذي اهتم بهذه الصناعة يسمى بالفانروسكوبيا **Phaneroscopie*****.

ويلاحظ كل مهتم بإنتاج ش س بورس **Charles Sanders Peirce** السيميائي بأنه «توسّع في دراسة العلامات انطلاقا من منشئها السيميائي إلى انفتاحها على كل الثقافات، ليتسع مفهومها للكون كله» (الجرماني، 2012، صفحة 34)، باعتباره علامة، لهذا ارتبط مشروعه بالبعد التداولي (الذرائعي)؛ إذ هناك من يقول أن التداولية جزء من السيميائية التي تعالج العلاقة بين العلامات، ومستعملي هذه العلامات فتصور بورس الشمولي والدينامي للعلامة، [الذي يعتبرها] كيانا ثلاثيا تتفاعل داخله العناصر التركيبية والدلالية والتداولية في إطار سيرونة دائمة تسمى السيميوزيس **Semiosis** (مرايط، السيمياء العامة وسيمياء الأدب: من أجل تصور شامل، 2010، صفحة 79)، جعل من العلامة أكثر تشعبا كلما أمعن القارئ في تتبع مسارها، بداية بالإرسال وصولا عند عملية التلقي، لهذا السبب ركز بورس على السيميائية عبر مراحل متعددة، بقوله العلامة أو الماثول* شيء يعوّض بالنسبة إلى شخص ما شيئا ما، بأي طريقة وبأي صفة، إنه يتوجه إلى شخص لكي يخلق عنده علامة موازية، أو علامة أكثر تطورا، إن هذه العلامة التي يخلقها أطلق عليها مؤولا** للعلامة الأولى، إن هذه العلامة تحل محلّ شيء: موضوعها***، إنها تحلّ محلّه لا من خلال كل مظاهره، بل من

خلال فكرة أطلق عليها عماد الماثول (بنكراد، «السيمياثيات: النشأة والموضوع»، عالم الفكر، 2007، الصفحات 34 - 35)، وهذا ما يؤدي إلى عملية خلق التوليد والتأويل، المتجسد «كأداة تمكُّنا من التعرف على مناطق في ذاتنا وفي الطبيعة، لا يمكن أن يستقيم وجودها من خلال حدود مألوفة» (بنكراد، سيرورات التأويل: من الهرمسية إلى السيمياثيات، 2012، صفحة 11)، بل داخل عالم من الممكنات في حالة متفجرة من الدلالات، مُنطلقها وجود عالم واقعي.

لذا فسيمياء التأويل بحسب ش س بورس، وكما ذكرنا سابقا ليست مجرد منهج يمكن اختزاله في أدوات إجرائية وظيفتها استخلاص نتائج تحليلية جاهزة مسبقا، بل على العكس تماما، فهي عبارة عن سيرورة [سيميويزيس Sémiosis] لإنتاج المعنى، وغطت في تداولها واستهلاكها، فالعالم لا معنى له إلا إذا اقترن بسيرورة لإنتاج المعنى، مُتخذًا بذلك شكل علامات من مختلف الأحجام والمواد، لماذا؟ لأنه وبكل بساطة تصور متكامل للعالم؛ وأي محاولة للإمساك بهذا العالم تُعدُّ مهمة صعبة جدا، فهي محكومة بسلسلة لا متناهية من الأنساق السيمياثية التي تتجسد كعلامات، وهذا يؤكد استعصاء فصلها عن الواقع لاحتوائها بحمل مكوناتها الأكثر إيغالا في القدم، إلا أن معرفة هذه المكونات هي مجرد احتمال سيميويزيسي لا يمكن أن يتحقق إلا في سياق محدّد، أو من زاوية بعينها، فالسيميويزيس لا متناهية في المطلق، إلا أن غايتنا المعرفية تقوم بتأطير وتنظيم وتكثيف هذه السلسلة غير المحددة من الإمكانيات التي تشير دائما إلى دور المتلقي المؤول فيها (العماري، 2007، صفحة 92).

والواقع عند بورس ما هو سوى نسيج من العلامات، يُمثّل سلسلة من الإحالات التي تتلاشى لحظة استيعابها في الفعل الإنساني، وموت العلامة هنا لا يكون موتا نهائيا، بل موتا مؤقتا، والفعل الإنساني يُولّد من جديد لحظة تحقّقه سلسلة من العلامات التي تُدرج ضمن سلسلة جديدة من الإحالات لتُشكّل سلسلة لا نهائية، تتحقّق أثناء عملية إرسال العلامة إلى متلقيها، وتُشكّلها خاضع لتفسيرٍ ومن ثم لقراءة جديدة، تُضاف لها سلسلة متولدة أخرى جديدة، وهذا يجعل من العلامة علامة أخرى متحققة داخل سيرورات التدليل، التي تُحوّل «التقنيات والمكونات إلى عناصر داخل طاحونة منتجة لدلالاتٍ، تتنوع بتنوع السياقات النصية التي تحتضنها» (بنكراد، السرد الروائي وتجربة المعنى، 2008، صفحة 36)، وهذه التقنيات الإبداعية تُعدّ بدورها وسيطاً للإمساك بسيرورات التدليل، في حين خارج هذه السيرورات تبقى التقنيات جوفاء.

3. نظرية المقولات الثلاث وأنماط الوجود السيميائي:

لقد قام بورس بصياغة بروتوكوله هذا من خلال حدود ظاهرانية دقيقة مرتبطة أساسا بالإدراك وإنتاج الأفكار وتداولها، كل ذلك تم بوضع العلامة في سياق فلسفي تفسيري مُستوحى من كانط وهيجل، يسمى نظرية المقولات الثلاث Théorie des Catégories، وهي عبارة عن ظاهرانية خاصة ذات مفاهيم ومصطلحات مخصوصة ومبتكرة، اعتمد عليها في تصنيفه وتحديد هذا للعلامة السيميائية، ومهمته كانت دراسة العناصر البارزة *Phanérons على مستوى الفكر، لكي تميز طبقاتها وتصنفها ضمن مقولات عامة، ومقولاته الثلاث بدورها تُعبّر عن أنماط وجود ثلاثة، على اعتبار أنّ «العلامة هي كل شيء يحدد شيئا ثانيا للإحالة إلى شيء ثالث، يُحيل عليه الشيء الأول ذاته وبنفس الطريقة» (مرايط، السيميائية العامة وسيميائية

الأدب: من أجل تصور شامل، صفحة 81)، وبالنسبة لبورس الشيء الأول: الماثول **Représentamen**

والشيء الثاني: الموضوع **Objet**، والشيء الثالث: المؤول **Interprétant**، بهذا الطرح قدّم

تصوره للعلامة من خلال خطاطة ثلاثية، من منطلقها يمكن الإبانة عن مكونات التجربة الإنسانية.

3-1- السيرة الثلاثية:

ثالث بورس كما ذكرنا سابقا كان نتيجة تفكير منهجي شعولي، من خلال إيجاد مفاهيم سيميائية لكل الموجودات المحيطة بنا، ومبدأ الثلاثية عنده أساسي غير قابل للزيادة أو النقصان، لماذا؟ لأن جميع المقولات حتى وإن فاق عددها ثلاث مقولات ستُحتزل في النهاية إلى ثلاث، فهو يرى أن العلامة أو الماثول هو الأولاني La priméité الذي ينوب عن الثانياني La secondéité الذي يسمى الموضوع، والممثل يحدد الثالثاني La tiercéité، الذي يسمى المؤول، وكلها تنطلق من: أول (النوعية/ الإمكان)، وهو حال وجود الإمكان الكيفي الإيجابي؛ أي هو «تصور الوجود أو الوجود في استقلال عن أي أمر آخر» (الحدادي، سيميائيات التأويل: الإنتاج ومنطق الدلائل، ص، صفحة 256)، وثان (الواقعة/ الفعل)، وهو حال وجود الواقعة الفعلية؛ أي هو «تصور الوجود المتعلق بأمر آخر» (الحدادي، سيميائيات التأويل: الإنتاج ومنطق الدلائل، 2006، صفحة 256)، وثالث (القانون)، وهو حال وجود القانون الذي سيتحكم في الوقائع مستقبلا؛ أي الانطلاق من

«الإحساس إلى الوجود إلى التوسط» (بنكراد، السميائيات والتأويل: مدخل لسميائيات ش. س. بورس، 2005، صفحة 42) الذي يعالِق

الأول والثاني المشكّل لعمق السيرورة المنتجة للإدراك والفهم والتواصل الإنساني.

لذا فالنظام العددي الثلاثي السابق يمكن التعبير عنه انطلاقاً من مقولة نُحِيلُنَا على ثلاثة أنماط خاصة

في الوجود:

- حال وجود الإمكان الكيفي الإيجابي: (النوعية/الإمكان) = العلامة / المصورة / الماثول = الأولانية.
- حال وجود الواقعة الفعلية: (الواقعة/ الفعل) = الموضوع / الموضوعية = الثانية.
- حال وجود القانون الذي سيتحكم في الوقائع مستقبلاً: (القانون) = المؤول / المفسرة = الثالثة.

ارتكز بورس في مشروعه هذا على مُسلّمة تسمى: البروتوكول الرياضي، هذا البروتوكول يتحدّد من

منطلقه كل نسق ككيانٍ ثلاثي.

يُستخدم هذا البروتوكول في القيام بكل عمليات تصنيف الظواهر، وعمليات تصنيف هذه الظواهر وفق

هذا البروتوكول تتجسد على شاكلة بناء ثلاثي، لا يقبل الاختزال لثنائية، وهذا سيُحلّ بالنسق، مثال:

الرقم (01) في تسلسله لا نستطيع أن نسقط الرقم (02)، كونه يُحدّد من امتداده؛ أي ما يُغلّق السلسلة،

وهذا معناه وجود الرقم (02) أمر أكيد، فهو يحدّد الامتداد، ويمنح الهوية للرقم (02).

هذان الكيانان (01) و (02) عند تصوّرهما كمستقلين ومكتفيين بذاتهما يفترضُ هذا ثالثاً كرابط

بينهما، هذا الثالث (03) طبيعته ليست من طبيعة الأول ولا من طبيعة الثاني، بل خلاف ذلك ينتمي

إلى دائرة مختلفة، كونه يُجسّد التوسط الذي — كما يقول سعيد بنكراد — يؤلف / يُصنّف / يُجزّد، إنه العدد

(03)، ومعه تكونُ "الثلاثية ضرورية وكافية في الآن نفسه، إنها ضرورية من الناحية المنطقية، وكافية من

الناحية التداولية" (بنكراد، السميائيات والتأويل: مدخل لسميائيات ش. س. بورس، 2005، صفحة 43)، فهي تُعتبر ضرورة مُلحة لبناء

سلسلة غير منتهية من العلاقات، والثلاثية كافية للاستجابة للحاجات انطلاقاً من التقليل لكل عدد

يفوق (03)، إلى ما يسمى بالتأليفات الثلاثية.

مثال:

(أ) يمنح الهدية (ب) ل (ج)، هذه السلسلة تحيلُ على علاقة ثلاثية.

نقول مثلاً: لم يتوقع محمد قُدم هذا اليوم: هذا الملفوظ السردي، يجعلنا أمام وضع بدئي مفتوح على احتمالات عدة، كونها قابلة لاستيعاب كل الممكنات التي يُشيرُ إليها الملفوظ، هذه التحققات على سبيل المثال مرتبطة بـ:

-رحيل محمد عن مدينته.

-حصول محمد على عمل قار.

-التقاء محمد بأعز أصدقاءه.

أن يحدث لمحمد شيء يُغيّر مجرى حياته كأن يتزوج مثلاً.

كل هذه تُعتبر ممكنات قابلة للتحقق، والممكنات بدورها تُقبَلُ من قِبَلِ العوالم الممكنة المرهونة بهذا الوضع الإنساني، ضمن شروط محدّدة، وتحقيق الممكن من جملة الممكنات المتوافرة مُهمّتهُ غلق السلسلة، التي هي في الأساس مفتوحة، وهذا معناه إيقاف أي تساؤل يخصّ الملفوظ المذكور.

لكن شرطَ التحقق هنا إدخال قانون ستتحقق وفقه الأحداث، وهذه التجربة نستطيع احتزالها في ثلاثة عناصر: إمكان ثم تحقق ثم قانون.

- يُقصدُ بالإمكان الوضع البدئي، الذي جاء مُجسّداً في قول السارد.
- يُقصد بالتحقق المرحلة الثانية؛ أي حين انتقاء ممكن من الممكنات السالفة الذكر.
- يُقصد بالقانون كعنصرٍ الإطار الذي سيتحكم في الأحداث مُستقبلاً، ويقوم القانون على الاختيار الذي يضطلع به السارد قصد توجيه عجلة السرد نحو اتجاه بعينه.

لنستخلص انطلاقاً من المثال السابق أن إضافة عنصر رابع لا أهمية له في خضم هذه السيرونة، كونه لن يُضيف شيئاً، ولن يُغيّر في شيء متعلق بالترايط بين الحلقات الثلاث المشكّلة لهذه السيرونة، فإذا رحل محمد عن مدينته فلا يهمّ إن كان رحيله بالطائرة أم بالسفينة أم بالسيارة، ولا يهمّ إن تحصّل على عمل قارّ داخل المدينة أو خارجها، ولا يهمّ إن تزوج ابنة عمه أو من خارج العائلة، كون كل هذا سوف لن يُغيّر من طبيعة التحقق، ولن تُغيّر كذلك من طبيعة القانون الذي يحكم عناصر التَّحَقُّق استقبالا.

هذه التنويعات قد تؤدي إلى إثراء وإغناء التحقق، لكنها لن تمسَّ جوهره المترابط، الذي هو سمة كلَّ سيرورة إدراكية، وهذا النموذج المصغَّر يُسقِطُ بدوره على الوعي الإنساني كله، كون «التجربة الإنسانية هي كما هي، في حدود انبثاقها عن هذه السيرورة الثلاثية» (بنكراد، السميائيات والتأويل: مدخل لسميائيات ش. س. بورس، 2005، صفحة 46).

3-2- تعريف المقولات:

طرَّح بورس في مقولاته الثلاث ارتبطَ بمفتوح الهدم والبناء داخل النص، حيث يتم تحويل البنيات المتقطعة إلى علامات من منطلق فرضيتي: الاتصال (Conjonction) والانقطاع (Disconjonction)، ففرضية الاتصال يكمن دورها في «إنشاء علاقات وترابطات واتصالات، وهذه المفاهيم الثلاثة أبانت لنا عن أهم ما تميزت به نظريته، وهي فلسفته الظاهرية، وتتلخص في كون الأشياء تبدأ بالمجرد وتنتقل إلى المحسوس» (الأحر، 2010، صفحة 51)، وهذه المقولات الثلاث قادرة على تزويدنا بكافة الوسائل المتاحة للقبض على التجربة الإنسانية في كليتها، لأنَّ الظواهر دالة من خلال موقعها الرمزي في الوعي الإنساني، لا خارجه، وهذه التجربة تجسّد تداخلا لمستويات ثلاثة: أول / ثان / ثالث.

كان يُطلق بورس سابقا على هذه المقولات اسم: النوعية / الواقعة / العلاقة، النوعية تعتبر إحالة على الأول، والواقعة هي لحظة تجسيد المعطيات الموصوفة في الأول، والعلاقة هي الرابط مفهوما بين الأول والثاني (الرابط بين الأساس والنوعيات، وصورتها المجسدة في الواقع بعينه).

وفي ثمانينيات القرن 19م غيّر بورس من تسمياته المصطلحية المرتبطة ب: النوعية / العلاقة / التوسط، بتبنيه استعمالا اشتهر به، وهو: الأولانية / الثانائية / الثالثية.

تصوّر بورس هذا يجعلنا أمام تصورات: الأول يرتبط بالكينونة؛ بمعنى «التعبير عن الموجود في ذاته، وفي استقلال عن أي شيء آخر» (بنكراد، السميائيات والتأويل: مدخل لسميائيات ش. س. بورس، 2005، صفحة 47)، والثاني يجعل منه تصوّر بورس يُعبّر عن الكينونة في علاقته بشيء آخر، ويؤكّل للثالث مهمة القيام بالتوسط الرابط بين الأول والثاني في إطار علاقة تُشيرُ إلى: القانون/ الضرورة/ الفكر، وبدون العنصر الثالث لا يمكننا تصوّر أي شيء وغيابه معناه الحصول على إحالة عرضية زائلة، لن تُنتج لنا معرفة.

هذه المتوالية الخطائية تمر في عملية فهمها وتغيرها بثلاث مراحل:

- وجود الإمكان: يُعبّر عنها من خلال مقولة الأولانية (**La priméité**)، كونها «تحديد

للكينونة في طابعها المباشر، دون وسائط أو تجسّد أو علاقة مع أي شيء آخر» (بن عياد، 2009، صفحة 168).

- وجود الواقعة الفعلية: يُعبّر عنه من خلال مقولة الثانية (**La**

secondéité، ومعناها «الخروج بالدلالة من دائرة المتصل المباشر إلى دائرة الوجود العيني

المبين بالوقائع» (بن عياد، 2009، صفحة 168)، فالوساطة هي في جعل الأول يحيل على الثاني وفق

قاعدة تشتغل قانونا هي نمط وجود الشيء لا كما هو، بل في علاقته بثنائ.

- ووجود القانون: تُشير إليه المقولة الثالثة (**La tiercéité**)، التي هي «الشرط

الضروري لإنتاج القانون والفكر والدلالة» (بن عياد، 2009، صفحة 169)، فالأول يحيل إلى ثان عبر

عنصر وسيط مبرر للعلاقة بينهما كونها تعبير كُلي عن الوجود الثالث.

وهذه المقولات الثلاث كما ذكرنا سابقا هي القادرة على تزويدنا بكافة الوسائل المتاحة للقبض على

التجربة الإنسانية في كُليتها.

ومنه فصياغة الحدود الإدراكية النهائية لا تقف عند حدّ ما يُقدّمه الأول، أو ما يجسده الثاني فقط،

والثالث بدوره لا نستطيع تصوره منعزلا عن أول ناسج لعلاقة مع ثان، لارتباطهم بقوة الحضور الرمزي في

تفاصيل الحياة الإنسانية كافة، فالأول يعتبر إمكانا كيفيا فقط والثاني يعتبر وجودا خالصا، وإذا ما حاولنا

الربط بينهما كأول وثنان فقط، سوف لن يوصلنا هذا إلى إنتاج إدراك أو أحداث تواصل مستمر، كونهما:

الإدراك والتواصل لا يتحققان كإمكان إلاّ بدخول عنصر ثالث، وهذا يتحكم في تحول علاقة أول وثنان،

من «الطبيعة العرضية واللحظية، إلى ما يشدّ هذه العناصر إلى بعضها البعض من خلال قانون لا فكّك

منه» (بنكراد، السيميائيات والتأويل: مدخل لسيميائيات ش. س. بورس، 2005، صفحة 48)، باعتبار أنّ إدراك المعنى رهْنٌ هنا بإدراك

سيرورة تكوينه، فيتعذر بذلك تصوّر المعنى منعزلا عن سيرورة الوقائع، وهذا ما يشير به إلى استحالة أحادية

المعنى.

3-2-1- الأولانية: La priméité

تعدّ الأولانية عالم الممكنات Les possibles والكيفيات Qualités المجردة؛ أي أنّ الأفكار النمطية للأولانية هي كيفيات الإحساس والمظاهر المحضة، وهي بالتعريف «حال الوجود الذي يتركز على أن شيئاً هو إيجابياً كما هو دون اعتبار لأي شيء آخر» (الحدادي، سيميائيات التأويل: الإنتاج ومنطق الدلائل، 2006، صفحة 256)، مثال ذلك: حال الخسوف أو الكسوف قبل وقوعه، وقبل أن يعرفه أي أحد أو يراه أو يتوقعه بوصفه شيئاً مرئياً، كان عبارة عن إمكان كيفي إيجابي ينتمي إلى فكرة الأولانية، ولا نعرف عنه شيئاً إلاّ بعد أن يحدث، لأنها كينونة شيء أولي، وسابق لأي تركيب، وهو شيء غير موجود، لكنه يحمل في ذاته قدرات وإمكانات تجعله يوجد أو لا يوجد، إنه الشيء الذي يملك كينونته في ذاته، بحيث لا يوجد في الوعي، ولا يخضع لأي قانون، وبحسب بورس ثُحِلنا هذه المقولة على «الوجود النوعي الموضوعي» (بنكراد، السيميائيات والتأويل: مدخل لسيميائيات ش. س. بورس، 2005، صفحة 54)، الذي معناه وجود الشيء في ذاته خارج أي تحقق، كونه يحيل على الشيء في ذاته، ومضمونه (الأولانية) يحيل إلى الأحاسيس كالألم والفرح والخوف ... أو إلى النوعيات كالأحمر والأخضر، الخشن واللين ... وهذا الشيء إمكانٌ نوعي مجرد، مستقلٌّ عن أي زمان وعن أي شكلٍ للتحقق، فهذه الأحاسيس والنوعيات لا يمكن أن تتحقّق أو تتحدّد إلاّ من منطلق خصائص ذاتية متصلة بها، دون ضرورة معرفة تجسدها، أو عدم تجسدها في شيء آخر، «فالإحساس نوع من الوعي الذي لا يستدعي أي تحليل، كما لا يستدعي أية مقارنة ولا أية سيرورة، كما لا يتجسد لا كلياً ولا جزئياً في فعلٍ يتميز من خلاله هذا الحقل من الوعي أو ذاك» (بنكراد، السيميائيات والتأويل: مدخل لسيميائيات ش. س. بورس، 2005، صفحة 55)، ففي حدّ ذاته ليس تحقّقاً، بل هو محض وجود ككيفية جزئية إيجابية في ظاهرة ما.

انطلاقاً من هذا تتجسد الأولانية كمقولة للوجود الاحتمالي، واشتغالها لا يكون إلاّ على ما يُحِيل على الاحتمال والإمكان، فلو تجسدت في شيء آخر مثلاً غير ذاتها، معناه سُحِلنا مباشرة على شيء آخر، وهو نمط للوجود مختلف يتجاوز حدودها ومعطياتها، لذا بورس عرّفها «كنمط في الوجود يتحدد في كون شيء ما هو كما هو إيجابياً، دون اعتبار لشيء آخر» (بنكراد، السيميائيات والتأويل: مدخل لسيميائيات ش. س. بورس، 2005، صفحة 54)، فعندما ينتابنا اهتمام بعنصر ما في ذاته انطلاقاً من إمكانياته الخاصة به، بعزله عن أية روابط

أخرى، تكون تلك هي النوعية، ذات ميزة الوحدة؛ أي كل ما يُعرضُ تحت مظهر واحدٍ، وهي في ذاتها متفردة وغير قابلة للانحلال، لأنها نوعية قبل وجود شيء تتجسد من خلاله هذه النوعية؛ بمعنى أن تأملنا في شيء ما في ذاته بعزله التام عن أي شيء آخر، سيحيلنا هذا إلى اعتباره شيء لا يشبه شيئا آخر، لارتباطها «بالعنصر الأحادي للكون» (بنكراد، السيميائيات والتأويل: مدخل لسيميائيات ش. س. بورس، 2005، صفحة 55)، فأبي شيء مهما كان معقدا أو متنافرا يمتلك نوعيته الأصلية الخاصة به.

ومنه الأولانية عامة تتسم بالالتباس والإبهام والغموض، وحضورها في الذهن لا يكون انطلاقا من أجزائها، فهي الأحاسيس خارج أي تجسد، كما أنها النوعيات في انفصالها عن الوقائع التي تُخبرنا عنها، وتمنحها هوية، لذا ففرضية الانقطاع، تتمثل بمقولة الأولانية، باعتبارها الصفر الذي يمثل العدم، فلا وجود لداخل وخارج وقانون، بل توجد إمكانيات غير محدودة تسمى كينونة الإمكان الكيفي الموجب (مرباط، السيمياء العامة وسيمياء الأدب: من أجل تصور شامل، 2010، صفحة 80)، وتُجسّدُها يتحقّق كإحساسٍ قبل وجود ذات تُدركُ هذا الإحساس؛ لأنها «مقولة البداية والجدّة والحرية والإمكان واللا تحديد» (بنكراد، السيميائيات والتأويل: مدخل لسيميائيات ش. س. بورس، 2005، صفحة 56)، على اعتبارها احتمال يشير إلى انفتاح دائم على أشكال للتحقق لا متناهية.

مثلا لو قلنا أن 03 هي أول، فالثاني غير محدد، وقد يكون 04 أو 05 أو 06، كون الأول حرّ وغير محدد.

كذلك يمكننا وصف اللون الأحمر، لكنه في ذاته لا يُعطي وصفا، فقبل وجود شيء أحمر لم يكن الأحمر سوى نوعية لا وجود لها إلّا في ذاتها، ومنه نقول أن المعطيات الموصوفة داخل الأولانية، باعتبارها احتمالية ميزتها إمّا التحقق أو عدم التحقق؛ أي بإمكانها أن تتجسد في واقعة ما، وقد تظلّ احتمالا إلى ما لا نهاية، فهي تمتلك قابلية الاستمرار في الحياة، لكونها مجرد إمكانٍ كيفي قابل للتحقق، وتجسّدُها صوتية منطوقة ستضعنا أمام نوعيات أو أحاسيس لا محدودة لماذا؟ لأنها لا تُحيل على شيء آخر سوى كونها مجرد أصوات، فلو نطق هذا الملفوظ أمام شخص جاهل له، وجاهل للطائرة، فبالأكيد لن يُدرك معنى هذا اللفظ، ولا مضمونه الفكري، ولن يتجاوز ذهنه حدود الأحاسيس المتسلسلة التي قد تُثيرها في نفسه طريقة النطق، والتآلف بين الحروف المكونة لكلمة طائرة وستظل هذه الكلمة في ذهنه مجرد إمكان لا غير.

لنصل معه إلى أنّ لا محدودية الأولانية كطابع كلي يجعل منها تعاني التفكك، وأي التحام معها معناه تدميرها، لتمظهرها في كفاءات الإحساس الكامل، كالشعور بالسعادة مثلاً: لا يستطيع المرء تحديد سببه، كونه غير محدد، لكن بمجرد اكتشاف سبب هذه السعادة يكون هذا المرء قد تجاوز مرحلة الأولانية، ليدخل إلى نظام مقولة أخرى ترتبط بالوجود الفعلي لا بالاحتمال والممكن، فأى ظاهر لا يتمظهر من خلال الأحاسيس أو النوعيات فحسب، بل يبدو من خلال مقولة ثانية محدّدة لوجود آخر تسمى الثانية.

3-2-2- الثانية: La secondéité

الأول يبقى مجرد احتمال، وهو لوحده لا يُوصل إلى شيء، فهو لا يُصبح أولاً مطلقاً إلا إذا تمّ التفكير في ثانٍ، هذا الثاني عندما نُفكر فيه وفي كماله وجب علينا أن نُبعد عنه كلّ ثالث، كونه «نقط وجود الشيء كما هو في علاقته بثانٍ دوّمًا اعتباراً لثالثٍ؛ لأنها تعني وجود الواقعة الفردية» (بنكراد، السيميائيات والتأويل: مدخل لسميائيات ش. س. بورس، 2005، صفحة 61)، التي توفر له صفة التحقق كمطلق، غير أنّ وجوده لا يكون بدون أولٍ، لذا لا بد من تصور عنصر ثانٍ أكثر أصالة*، تكون مهمته نقل الأحاسيس من وضع أصلي أولي، إلى وضع يسمح لها بإقامة علاقة مع شيء آخر؛ إذ بانتقالنا من الأولانية إلى الثانية نكون في واقع الأمر بصدد الخروج من دائرة المتصل المنفصل عن أي تحديد، إلى الوجود العيني المحدّد من خلال وقائع مُعينة، كقولنا مثلاً: أنّ هذا كُرسيّ موجود؛ معناه أنه يتجسّد كوجودٍ مادي، كونه صلب وثقيل، ويُنتج آثاراً مباشرة على الحواس، كما يُنتج آثاراً فيزيائية محضة، فهو ينجذب نحو الأرض؛ أي أنه ثقيل ويقاوم الضغط (مرن).

لذا فمقولة الثانية عكس الأولانية التي ميزتها الهشاشة، صلبة ومحسوسة، لارتكازها على فعل العنف والفظ والقوة؛ أي قوّم وجودها هو «شيء يُفعل في شيء آخر» (الحدادي، سيميائيات التأويل: الإنتاج ومنطق الدلائل، 2006، صفحة 259)، مثال ذلك قانون الطقو لأرخميدس أو قانون الجاذبية لنيوتن، فطفو قطعة خشب أو سقوط تفاحة من على شجرة ما إلى الأرض، لا يعمل القانون على حدوثهما في الواقع، لماذا؟ لأنه وببساطة مجرد حُكم يستطيع النطق بالقانون في أي وقت، ودون وجود قوة نافذة للقانون، مُثلة في سلطة التنفيذ والفعل، -التي تمنح القانون أثره -، يبقى مجرد حبر فقط.

إذن فالثانيانية هي «مقولة وجود الوقائع الفردية، وتشير إلى تحيين وتفعيل المعطيات الموصوفة في وقائع عينية بواسطة المقولة الأولى» (الحدادي، سيميائيات التأويل: الإنتاج ومنطق الدلائل، 2006، صفحة 260)، التي نلج بها دائرة الوجود*؛ أي وجود الأولانية وتحققها في الزمان وفي المكان، كونها مقولة الوجود التي يتم بواسطتها الانتقال من الإمكان إلى التحقق، وتحويلها من طابع الاحتمال إلى طابع المتحقق، الأولانية كنمط للوجود لوحدها غير قادرة على تحديد أي شيء، لأنها مقولة البداية والجدّة، تتمظهر كأول داخل السلسلة، والثانيانية دورها وضع حدّ لحرية هذه السلسلة؛ أي وجود ثان معناه «تقليص للإمكان، وتحويله إلى تحقق عيني» (بنكراد، السيميائيات والتأويل: مدخل لسيميائيات ش. س. بورس، 2005، صفحة 67)، فهي تعدّ عالم الموضوعات والوقائع والموجودات، فالطائفة كما ذكرنا سابقا لم تكن إلا أصواتا داخل سلسلة منطوقة أو مكتوبة، ومع الثانيانية ستتحول إلى شيء، باعتباره موجودا، والطائفة كإمكان (أصوات، أحاسيس، نوعيات) ستتحقق كوجود. ومنه فالثانيانية تتجسّد كمقولة الواقعي والفردية؛ أي أنها مقولة التجربة والواقعة والوجود، بصفتها المتحكّم في تحويل الإمكان واللا مُحدّد إلى حقائق مجسّدة داخل مجال التجربة الإنسانية.

ليكون السؤال المطروح: هل مقولة الثانيانية لوحدها كافية لإنتاج الدلالة وتحديد الإدراك؟ الإجابة بكلّ بساطة هي: لا، كون الحديث عن تحديد إدراك وإنتاج دلالة اعتمادا على الثانيانية فقط أو الأولانية فقط غير صحيح، فالأولانية تُشير إلى الإمكان فقط، والثانيانية إلى التجربة فقط، وهذا لا يحيل على شيء، بصفته مجرد مرحلة قائمة على عملية ربط عرضي بين إمكان ووجود، هذا يُتمّ دخول عنصرٍ ثالثٍ، مهمّته تبرير علاقة الربط بين الأول والثاني، حيث يكشف عن القانون الذي مهمته تحقيق الإمكان الكيفي الإيجابي (الأولانية) داخل الوجود (الثانيانية) كأمرٍ ممكنٍ ومعقولٍ.

3- 2- 3- La tiercéité: الثانية

إذا دقّقنا جيدا، وعُصنا في أعماق المقولة الثانيانية، نجد أنها غير قادرة على تغطية كل ما يحصل في أذهاننا، وهذا ما يُفسّخ الطريق واسعا أمام ظهور مقولة ثالثة، مهمتها «ردم الهوة بين الأول والثاني، وإحداث علاقة بينهما» (الحدادي، سيميائيات التأويل: الإنتاج ومنطق الدلائل، 2006، صفحة 261)، باعتبارها الشرط الأساسي لإنتاج القانون والدلالة؛ لأن الأولانية لا يمكن أن تُحيل على الثانيانية إلا بوجود الثالثة، التي هي مقولة

التوسطِ بامتياز، وما يتوسط بين اثنين للربط بينهما يشغل كثالث مُتمظهر في صورة القانون الذي "يتجاوز كل واقعة تامة، ويُحدّد كيف يتوجب على الوقائع أن تكون؛ هذا معناه أنّ التوسط هو «جعل الأول يحيل على الثاني، وفق قاعدة تشتغل كقانون» (بنكراد، السميائيات والتأويل: مدخل لسميائيات ش. س. بورس، 2005، صفحة 67)؛ لأنها الفكرة أو القانون الذي يربط بين الأولانية والثانيانية، وفق منطق ضروري متجه نحو الوقائع المستقبلية، كروية الخسوف أو الكسوف وتحققه ينتج عنه إدراك العلاقة بين كمونه وتحليله، مما يُمكن الإنسان من التنبؤ به لاحقاً، فهي «مقولة الوعي الذي يتدخل ليربط بين الشيء كإمكان كيفي مجرد، وبين تحققه الفعلي في عالم الموجودات والموضوعات» (مرابط، السمياء العامة وسمياء الأدب: من أجل تصور شامل، 2010، صفحة 80)؛ أي أن الثالثة تستلزم أولاً وثانياً، لإحداث رابط علائقي بينهما (فكر* توسطي).

مثلاً: عندما نقول (02) هي الأول و (04) هي الثاني، هذا معناه أننا سنحدّد قانوناً يجعل الانتقال من الأول إلى الثاني قاعدة تُحدّد نمط امتداد السلسلة ككل بمعنى إقامة فكر توسطي علائقي بين عالم الإمكانات وعالم الموجودات، يُحقّقه «القانون [الذي] هو الطريقة التي يستطيع من خلالها المستقبل الذي لا نهاية له الاستمرار في الوجود» (بنكراد، السميائيات والتأويل: مدخل لسميائيات ش. س. بورس، 2005، صفحة 67)، فمن خلاله تسمح لنا الثالثة بالتخلص من الوجود العيني، وهذا معناه خلق عالم تجريدي بواسطته نُفسّر الواقعي والمتخيل على السواء.

شكل رقم 1: مُخطط توضيحي لمبدأ اشتغال المقولات الثلاث:

الأولانية: هي مقولة العام = عموميتها تأتي من نظام المحتمل (الإمكان).

الثانيانية: هي مقولة الفردي = خصوصيتها تأتي من نظام الواقعة الفعلية.

الثالثانية: هي مقولة العام = عموميتها تأتي من نظام القانون والفكر والقاعدة.

ومنه تعتبر الثالثة الوسيلة المستخدمة من قبل الإنسان للتخلص مما يسمى التجربة الفردية، وإسقاط السّنن، كونه تكثيف لعديد التجارب الفردية، «فالإنسان يوجد داخل الرمزية، إن فكره يتشكل من علاماتٍ، وبواسطة القانون (الثالثة) يستطيع الإمساك بالواقعي (الثانيانية) وبالممكن (الأولانية)» (بنكراد،

السميائيات والتأويل: مدخل لسميائيات ش. س. بورس، 2005، الصفحات 68-69).

فالإنسان في ارتباطه بالواقع، ارتباطه ليس مباشرا، كونه يخلق لنفسه نموذجا لهذا الواقع من خلال تأويل رمزي.

كما أن فكرة العلامة بحسب بورس مبنية على سيرورة ثلاثية.

3-3- العلامة وسيرورة الإنتاج التديلي Sémiosi:

العلامة السيميائية بحسب تصور بورس تنخرط فيها سيرورة الإنتاج التديلي، وبناءها يحدده مبدأ الثلاثية المرتبط ب: كون الإمكانات، بوصفه أولانية، وكون الموجودات، بوصفه ثنائانية، وكون الضروريات، بوصفه ثالثانية، هذه الأكوان الثلاثة هي منطلق كل تمثيل، «فنمط وجودها ومضمونها وموقعها داخل الممارسة الإنسانية هو التحلي المباشر للمقولات» (بنكراد، السيميائيات والتأويل: مدخل لسيميائيات ش. س. بورس، 2005، صفحة 72)، التي هي منطلق الإدراك الإنساني؛ بمعنى لا وجود لشيء خارج العلامة؛ لأنها قوة للتمثيل، والتجربة الإنسانية بدورها تشتغل كمحض للعلامات، من بداية صراخ الطفل إلى مرحلة الاكتمال والنضوج والوعي، بوصفها امتداداً لعلامات مترابطة.

والإدراك تُحدده لحظات (أكوان) ثلاث(ة)، والمقولات الثلاث تحدد التجربة الإنسانية، عبر مراحل:

- مرحلة أولى (أولانية) تتحدد كنوعيات وأحاسيس: (كون الإمكانات).
- مرحلة ثانية (ثنائانية) تتحدد كقوائع وموضوعات: (كون الموجودات).
- مرحلة ثالثة (ثالثانية) تتحدد كقوانين وعادات: (كون الضروريات).

ومنه فالتجربة الإنسانية هي «تجربة كلية، وهذه الكلية لا يمكن أن تشتغل بشكل تام إلا من خلال وجود هذه الأبعاد الثلاثة» (بنكراد، السيميائيات والتأويل: مدخل لسيميائيات ش. س. بورس، 2005، صفحة 73)، فالعلامة حاوية للإمكان والتحقق والقانون.

3-3-1- بناء العلامة الثلاثي:

التدلال (السيميويزيس) Sémiosi كفعل يتطلب تضافر عناصر ثلاثة هي: الماثول Représentamen، والموضوع Objet، والمؤول Interprétant.

فالعلامة عبارة عن ماثول مرتبط بموضوعه من جهة، وبمؤوله من جهة أخرى، وذلك بطريقة تجعل علاقة هذا الموضوع بذلك المؤول مشابهة لعلاقة الماثول بالموضوع؛ أي أن الماثول يُحِيلُ على موضوع عبر مؤول، مهمته تحديد الموضوع، وإنشاء علاقة معه.

ليتجسد الماثول هنا كحامل للعلامة وركيزة لها في الآن نفسه، فهي كحامل «تُقدّم نفسها في الغالب داخل خليط من الممثلات الأخرى، التي تنتمي إلى علامات أخرى في سياقات مختلفة» (مرايط، السيمياء العامة وسمياء الأدب: من أجل تصور شامل، 2010، صفحة 81)، لذا نعتبرها حاملا للعلامة التي بصدد دراستها، وهي «كركيبة؛ لأننا نُعدّها دالة على موضوعة نصل إليها بموجب اعتمادها كمثثلة» (مرايط، السيمياء العامة وسمياء الأدب: من أجل تصور شامل، 2010، صفحة 81).

مثال ذلك: كلمة طائرة، التي هي عبارة عن علامة تتكون من ماثول هو سلسلة من الأصوات ط / ا / ء / ر / ة، ومن موضوع هو ما تُحِيلُ عليه الطائرة، كونه في ذاته قاعدة للإحالة، وعلى ثالث هو مبرر العلاقة القائمة بين المتوالية الصوتية وهذا الموضوع، لكن لو تلفطنا بهذه الكلمة أمام شخص لم يسمع لفظ طائرة ولا رأى شكلها، سوف لن يدرك سوى سلسلة الأصوات برنينها وتسلسلها، وهذا سيخلق لديه مجرد إحساس لا غير، لكن لو آريناه طائرة سيعلم جيدا أن تلك الأصوات تدل على هذا الشيء المجسد، بصفته واقعة فعلية ووجودا عينيا، هذا معناه الربط بين المتوالية الصوتية وبين موضوع بعينه، هذا الربط ليس نهاية السيرة، كون هذا الربط زائل وعرضي مرتبط بال لحظة، وهذا معناه عدم تشكيله لسند صلب للإدراك.

فالإدراك يحتاج إلى التجريد؛ وهو ما يجعل من التجربة قابلة للنقل، ولو افترضنا أن هذا الشخص نسي كلمة طائرة وموضوعها، بسبب عدم امتلاكه ما يُمكنه من صياغة تجريدية لحدود التجربة الواقعية التي شاهدها بعينه، ماذا يفعل؟

الإجابة بسيطة، فلنسى كلمة طائرة بسبب ربطها الذي قد يكون لحظيا أو زائلا يجب توفر قانون، مهمته إحداث ربط دائم بين لفظ الطائرة كمتوالية صوتية، والطائرة كموضوع؛ أي قد تغيب الطائرة من ذهنه كوجود عيني، غير أنها باقية كنموذج إدراكي في ذهنه.

هذا النموذج هو تعريف يُمنح للطائرة، باعتبارها وسيلة تُستخدم للتنقل والسفر وذات محركات، تخلق في الهواء باستعمال الوقود، وهذا النموذج مهمته التوسط بين كيانين، يسميه بورس المؤول

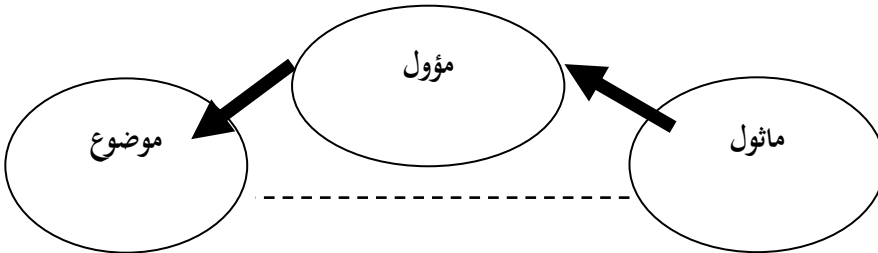
Interprétant

وانطلاقا من المثال الذي طرح سابقا نستخلص أنّ هذه السيورة الموصوفة يسميها بورس الإنتاج الدليلي (سيميزيس Sémiosis)؛ كونها السيورة التي تقود إلى إنتاج دلالة ما.

فالسيورة التدلالية تستحضر الماثول كأداة للتمثيل، وتستحضر الموضوع كشيء للتمثيل، وتستحضر مؤولا يكون الرابط بين العنصرين، كعنصر إلزامي للتوسط، لإقامة العلاقة السيميائية.

فالعلامة لا تكون علامة إلا إذا كانت جمعا وربطا بين عناصر ثلاثة، داخل السيورة التي تعمل بها العلامة بصفتها علامة، والمسماة السيميزيس Sémiosis، وهذا يتطلب توافر عناصر ثلاثة: الماثول / الموضوع / المؤول، وكل عنصر من العناصر الثلاثة داخل العلامة باستطاعته أن يشغل كعلامة، ليكون قابلاً للتحويل إلى ماثول يحيل إلى موضوع عبر مؤول، وهكذا إلى ما لا نهاية.

شكل رقم 02: مخطط توضيحي لعناصر العلامة الثلاثة



فالعلامة (الماثول Représentamen) إذن علاقة ثلاثية بين: أولانية / ثنائية / ثالثية، هذه الثلاثية تحيل إلى مبدأ الإحالة اللامتناهية، فالأول يحيل على ثان عبر ثالث، هو قابل للتحويل إلى ثان عبر ثالث وهكذا...

ومنه فالعلامة (الماثول) عند بورس هي «أي شيء يُحدّد شيئا آخر (مؤوله) يُحيل على موضوع هو نفسه يُحيل عليه [...] وبالطريقة نفسها يُصبح المؤول بدوره علامة، وهكذا إلى ما لا نهاية له» (مربط،

السميَاء العامة وسميَاء الأدب: من أجل تصور شامل، 2010، صفحة 108)، هذا الماثول قد يرتبط بطبيعة لسانية أو اجتماعية أو بموضوع من موضوعات العالم، لهذا السبب استعمل بورس عند تحديده لمفهوم العلامة كلمة شيء (Chose)، فالماثل ليس مجرد متتالية صوتية ذات موقع معين داخل اللسان فحسب، بل هو أشمل، كظاهرة عامة اجتماعية أو لسانية أو طبيعية.

والماثل هو «الأداة التي نستعملها في التمثيل لشيء آخر» (بنكراد، السميائيات والتأويل: مدخل لسميائيات ش. س. بورس، 2005، صفحة 78)؛ كونه لا يُعرِّفنا على الشيء، بل مهمته هو التمثيل، وجوده لا يكون إلا من خلال تحيينه داخل موضوع ما، وموضوع العلامة هو ما يجعل منها شيئا قابلا للتعرف، لكنه لا يُحيلنا على موضوعه إلا بوجود مؤول، «فكل سلسلة غير متناهية من التمثيل كل منهما تمثل سابقتها يُمكن تصوُّرها على أنها تمثل موضوعا مطلقا يكون حدِّها» (مرايط، السميَاء العامة وسميَاء الأدب: من أجل تصور شامل، 2010، صفحة 109)، الذي يعتبر مؤولا نهائيا.

إذن فالماثل لا يُمثِّل إلا الموضوع؛ بمعنى أنَّ موضوع دليل ما هو ما تكون معرفته به مفترضة، حتى يستطيع توصيل معلومات إضافية تخصّه، للخروج من النوعيات والأحاسيس إلى التجسيد، بإحالاته على موضوع ما لا يلغي إمكانية استمراره في الحياة ككيان مُستقل، والماثل مهما كان شيئا واقعا أو متخيلا أو قابلا للتخيل، مهمته القيام بتمثيل الموضوع، و«موضوع العلامة هو المعرفة التي تفترضها العلامة لكي تأتي بمعلومات إضافية تخصّ هذا الموضوع» (بنكراد، السميائيات والتأويل: مدخل لسميائيات ش. س. بورس، 2005، صفحة 81)، فداخل سيرورة الإنتاج التدليلي (السيميزيس) وعند حديثنا عن موضوع ما، لا نستطيع عزل هذا الموضوع عن عملية الإبلاغ، كون كلا من المبدع (الباث) والمتلقي من الضروري عليهما امتلاك معرفة مسبقة عن هذا الموضوع، حتى يتحقق الحوار، وهذه المعرفة تحددها متتالية العلامات السابقة غير المدرجة، وغير المتحققة داخل سياق* الحوار.

ليخرج لنا بورس بطريقة محدّدة في التمثيل يطلق عليها اسم: الركيزة** (العماد) مهمتها تحديد ما هو مُتَّحَقِّق داخل العلامة (الماثل)، بطريقتين:

ذرائع تشارلز ساندروس بيرس التأويلية-بحث في العلامة وأنماط إنتاج المعنى سيميائيا-

- **طريقة مباشرة:** تتجسد «كانتقاء خاص يتم وفق وجهة نظر معينة» (بنكراد، السيميائيات والتأويل: مدخل لسميائيات ش. س. بورس، 2005، صفحة 84)، فعند تلفظنا بأي لفظ كان مفردة أو جملة، لا نُحِيل فقط على القصد الذي نُريده، بل وبشكل غير مقصود وصريح قد نُحِيل على معان أخرى لا تدخل في سياق الحديث المطلوب، لذا فالموضوع في هذه الحالة مطروح داخل العلامة (الماثول) كمعلومة جديدة مُضافة لمعلومات سابقة متسلسلة، ومعناه ما يتم إدراكه مباشرة.
 - **طريقة غير مباشرة:** ترتبط بما هو متحقق ومُفترض داخل سياق مُحدّد ومعناها ما يتحقق «داخل دائرة إبلاغية تفترض وجود باث وملتق» (بنكراد، السيميائيات والتأويل: مدخل لسميائيات ش. س. بورس، 2005، صفحة 84)، مُشكلةً معه حصيلةً سيرورة إنتاج دلالي؛ إذ من خلاله يستطيع الماثول استعادة كل العناصر المنفلتة من عملية التحديد المباشر. وطريقته المحددة في التمثيل ميّزت بين نوعين:
 - **النوع الأول هو الموضوع المباشر:** وهو الموضوع كما يُحدّده الماثول نفسه، ويتعلق وجوده بتمثيله في الماثول، ومهمته تشكيل "معطيات النص الظاهرة" (بنكراد، السيميائيات والتأويل: مدخل لسميائيات ش. س. بورس، 2005، صفحة 88).
 - **النوع الثاني هو الموضوع الديناميكي:** هو الواقع الذي يحمل إلى تحديد الماثول، بتمثيله بواسطة أداة ما، باعتباره «المعرفة المفترضة التي تؤسس عبر وجودها فعل التأويل» (بنكراد، السيميائيات والتأويل: مدخل لسميائيات ش. س. بورس، 2005، صفحة 88).
- فالموضوع يحيلنا على معرفة سابقة مشتركة بين المبدع والمتلقي، بصفته ما يمثله الماثول وما يعنيه المؤول، وهذا الموضوع لا يُدرِك إلّا حين ينضوي داخل عالم السيميوزيس كجزء لا ينفصل منه؛ كونه كلّ ما يُحِيل عليه الماثول، سواء كان قابلا للإدراك أم قابلا للتخييل، أم غير قابل حتى للتخييل كإحساسات المبهمة مثلا، وهذا ما يتحقق به الانفلات من الوجود العيني إلى خلق عالم تجريدي، يُفسّر به الواقعي والمتخييل، على اعتبار أنّ السيميوز هي في الاحتمال سيرورة لا متناهية، وهي في الوجود منتهية.

كل هذا يتم عبر مؤول* متحققٍ داخل سيرورة إنتاج الدلالة (السيميويزيس) كعنصر ثالث، بوصفه عنصرَ التوسُّطِ الإلزامي بين الماثول والموضوع، الذي جعل الأول يُحِيل على الثاني، فالعلامة (الماثل) هي شيء ما قائم لشيء آخر مُدرك أو مُعَبَّر عنه من شخص ما، هو المؤول، الذي يضطلع بمهمة تحديد مسار السيميويزيس، فهو يُحدِّد للعلامة صحتها، ويضعها للتداول كواقعة إبلاغية، إضافة إلى توسطه كعنصر رابط بين الماثول وموضوعه، نجده في الوقت نفسه يُبرز المسافة التي لا يمكن ملؤها أبداً بين الماثول والموضوع، لتجسده داخل كل إحالة كإمكانٍ وسطَ إمكانات كثيرة أخرى، وورود إحالة جديدة مع كل سياق شيء عادي، لما يُمثِّله من ثراءٍ تأويلي لا نهائي.

4. الخاتمة:

لنصل معه لنتيجة مفادها أنَّ مداخل بورس السيميائية تأخذ بالاستدلال على التأويل في ارتباطها بالسيرورة الثلاثية في إنتاج المعنى (التدلال)، بنفيه الاكتفاء بالثنائيات المتقابلة، وبحثه عن الطرف الثالث في البنى لتوليد لا نهائية التأويل؛ إذ وبحسب بنكراد الاستقطاب الأحادي هو خطية في الحكي، وخطية في علاقة الأنساق بعضها ببعض، [و] النص ينغلق على نفسه حين يُدرج مساراته ضمن خطية، تُقسَّم الكون إلى خانتين متقابلتين، ومن يأخذ بتوالدية الدلالات لدى بورس لرصد السيرورة السيميائية لبنى النص، عليه العودة إلى أدوات غريماس (Greimas) السيميائية في اختبار السردية وخطاطاتها، فالسُّنن السيميائي يقتضي أهمية لدوره المهم في توضيح دور المخزون الثقافي في بناء النص وتحديد السلوك الإنساني داخله، وهذا يسمح بإنتاج تلقٍ ثقافي إيديولوجي جديد لدى القارئ، فالسُّنن ليس شيئاً آخر سوى نموذج سلوكي مجرد يحتوي في داخله على سلسلة لا متناهية من الأشكال مجموعة كبيرة من إمكانات التحقق، وتوالدية الدلالات اللامتناهية لديه ليست سوى مفاتيح التأويل الذي ارتقى على أكتافه النقد الثقافي السيميائي، وهذا نفس ما تمسك به أمبرتو إيكو (Umberto Eco) في طروحاته حول سيرورة الدلالات.

سيمياء التأويل تنظر إلى البنى المجردة بوصفها سنناً مُكثفاً لجموع التحققات الممكنة للظاهرة، حيث يُمسكُ بسيرورة سلوكية تتجلى من خلال علامات، تُعدُّ ضمنها الثلاثية التأويلية التي قدمها بورس مفصلة

في تأسيس رؤية نقدية سيميائية، وفي تحقيق منهج يحقق رصيذا قيّما، وقد لا يحدد الناقد أي عنصر من عناصر تَكُون النصّ الروائي محط إجراءاته، تاركا المجال مفتوحا على كل الاحتمالات، فعندما يفتح القارئ الكتاب يجد أن هناك ثيمات محددة في كل نصّ روائي، ستكون علامات محدّدة تُحَفِّزُ الناقد لملاحقتها داخل أنساق داخلية مدعومة بحركة، يفرضها تكاثف التأويل مع النقد السيميائي، بغية الوصول إلى طبقات أعمق في النص، كونه يركز في تحليله على النصّ ومحدّداته.

بهذا كان له فضل كبير في إعطاء العلامة كلّ هذا القدر على التوسع، بارتباطها بتفاصيل الحياة الإنسانية، لكن المشكل الحاصل هنا يرتبط حول اختلاف تطبيقات سيميائية بورس، كونه لم يقدم لنا أمودجا تطبيقيا يُثبت لنا صحة نظريته وفعاليتها، على اعتبار أنّ ثلاثيته التأويلية قاصرة من حيث الإجراءات، ولم يتحقق هذا الإجراء إلّا بعد ظهور النقد الثقافي الذي ساهم في إغنائها بدراسات تطبيقية.

قائمة المراجع :

1. Paris: Ed Seuil, *Ecrits sur le signe*, (1970), S, Peirce, C
2. آراء عابد الجرمان، (2012)، *اتجاهات النقد السيميائي للرواية العربية* (المجلد ط1)، منشورات الاختلاف الجزائر،
3. سعيد بنكراد، (1996)، *النص السردي، نحو سميات للإيديولوجيا* (المجلد ط1)، دار الأمان الرباط،
4. سعيد بنكراد، (2002)، *السميات: مفاهيمها وتطبيقاتها* (المجلد ط1)، منشورات الزمن المغرب الدار البيضاء،
5. سعيد بنكراد، (2005)، *السميات والتأويل: مدخل لسميات ش، س، بورس* (المجلد ط1)، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء - بيروت،
6. سعيد بنكراد، (2007)، *«السميات: النشأة والموضوع»*، عالم الفكر (المجلد د، ط)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت،
7. سعيد بنكراد، (2008)، *السر الروائي وتجربة المعنى* (المجلد ط1)، المركز الثقافي العربي بيروت - الدار البيضاء،
8. سعيد بنكراد، (2012)، *سيرورات التأويل: من الهرمية إلى السميات* (المجلد ط1)، منشورات الاختلاف الجزائر،
9. طائع الحداوي، (2006)، *سميات التأويل: الإنتاج ومنطق الدلائل* (المجلد ط1)، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء - بيروت،
10. طائع الحداوي، (بلا تاريخ)، *سميات التأويل: الإنتاج ومنطق الدلائل*،
11. طائع الحداوي، (بلا تاريخ)، *سميات التأويل: الإنتاج ومنطق الدلائل*، ص،
12. عبد الواحد مرابط، (2010)، *السميات العامة وسميات الأدب: من أجل تصور شامل*، دار الأمان - الدار العربية للعلوم ناشرون - منشورات الاختلاف الرباط - بيروت - الجزائر،
13. عبد الواحد مرابط، (بلا تاريخ)، *السميات العامة وسميات الأدب: من أجل تصور شامل*،
14. فيصل الأحمر، (2010)، *معجم السميات* (المجلد ط1)، الدار العربية للعلوم ناشرون - منشورات الاختلاف بيروت - الجزائر،
15. محمد التهامي العمري، (2007)، *حقول سيميائية، منشورات مجموعة الباحثين الشباب في اللغة والآداب، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مطبعة آنفو فاس،*
16. محمد الداوي، (2009)، *سميات السر: بحث في الوجود السيميائي* (المجلد ط1)، رؤية القاهرة،

17. محمد بن عياد، (2009)، مسالك التأويل السيميائي، وحدة البحث في المناهج التأويلية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية (المجلد ط1)، مطبعة التفسير الفتي صفاقس،

ملاحق:

* للتوسع أكثر في الموضوع ينظر: أرثر أيزابرجز: النقد الثقافي: تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية، تر: وفاء إبراهيم ورمضان بسطاويسي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2003، العدد 603، ص 127-128،

* ينظر طائع الحداوي: سيميائيات التأويل: الإنتاج ومنطق الدلائل، ص 14،

** يعرف بورس الفانروسكوبيا Phanéroscope، بأنها وصف الظواهر أو على الأرجح وصف المظاهر؛ أي Phanérons ومعناه: "الكلية الجمعية لكل ما هو حاضر عند الذهن، بطريقة ما وبأي معنى كان، دون اعتبار أبدا ما إذا كان هذا يناسب أمرا واقعا أو لا يناسبه (،،)، وعلم

الفانروسكوبيا كما طورته إلى حد الآن لا يولي الاهتمام إلا للعناصر الصورية للفانرون"، طائع الحداوي:

سيميائيات التأويل: الإنتاج ومنطق الدلائل، ص 254

* نفسها: المصورة، المثلة: (Représentamen)

** نفسها: المفسرة: (Interprétant)

*** نفسها: الموضوع: (Objet)

، * Phanérons كلمة إغريقية يُقصد منها كل ما يظهر ويبدو ويتبدى، "والظاهر هو المجموع الجماعي الحاضر في الذهن بأية صفة، وبأية طريقة دون الاهتمام بتطابقه مع شيء واقعي" سعيد بنكراد: السيميائيات والتأويل: مدخل لسيميائيات ش، س، بورس، ص 48،

* شرط ألا يكون هذا التعلق بشكل يجعل من الثاني محض عرض أو عارض للأول، وإلا فإن الثانية

تنحل من جديد،

* الوجود L'existence هو حال وجود ما يتركز على التعاند مع آخر، ينظر طائع الحداوي:

سيمائيات التاويل: الإنتاج ومنطلق الدلائل، ص260،

* الفكر هو ما يسمح لنا بربط الطائرة كصوت، ووجود حقيقي،

* السياق الخاص هو ما يحدد الموضوع الخاص للعلامة، فحتى نردّ الموضوع لعلامة بعينها، وليس لأي

علامة وجب أن نستحضر السياق الخاص الذي يرتبط بالعلامة ويؤول ضمنه،

** الركيزة تُعدّ دالة على موضوع نصل إليه بموجب اعتماده كممثلة،

* هو الأداة التي يتم عبرها الكشف عن هذه المعطيات؛ لأنه زاوية النظر التي تجعل هذا القارئ يدرك

هذه المعطيات في الوقت التي تغيب فيه عن قارئ آخر،

يجب أن تحتوي مقدمة المقال على تمهيد مناسب للموضوع، ثم طرح لإشكالية البحث ووضع

الفرضيات المناسبة، بالإضافة إلى تحديد أهداف البحث ومنهجيته،